

تفسير ابن كثير

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ

وقوله : (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض) أي : نبين له وجه الدلالة

في نظره إلى خلقهما على وحدانية الله ، عز وجل ، في ملكه وخلقه ، وإنه لا إله غيره

ولا رب سواه ، كقوله (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) [يونس : 101] ،

وقال (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض) [الأعراف : 185] ، وقال (

أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو

نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) [سبأ : 9] . فأما ما

حكاه ابن جرير وغيره ، عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم قالوا -

واللفظ لمجاهد - : فرجت له السموات ، فنظر إلى ما فيهن ، حتى انتهى بصره إلى العرش

، وفرجت له الأرضون السبع ، فنظر إلى ما فيهن - وزاد غيره - : فجعل ينظر إلى العباد

على المعاصي فيدعوا عليهم ، فقال الله له : إني أرحم بعبادي منك ، لعلهم أن يتوبوا

ويراجعوا . وقد روى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين ، عن معاذ وعلي [بن أبي

طالب [ولكن لا يصح إسنادهما ، والله أعلم . وروى ابن أبي حاتم من طريق العوفي ،
عن ابن عباس في قوله : (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من
الموقنين) فإنه تعالى جلا له الأمر ؛ سره وعلايته ، فلم يخف عليه شيء من أعمال
الخلائق ، فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله : إنك لا تستطيع هذا . فرده [الله]
- كما كان قبل ذلك - فيحتمل أن يكون كشف له عن بصره ، حتى رأى ذلك عيانا ،
ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه ، وعلم ما في ذلك من
الحكم الباهرة والدلالات القاطعة ، كما رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه ، عن معاذ
بن جبل [رضي الله عنه] في حديث المنام : " أتاني ربي في أحسن صورة فقال : يا
محمد فيم يختصم الملاء الأعلى ؟ فقلت : لا أدري يا رب ، فوضع كفه بين كتفي ،
حتى وجدت برد أنامله بين ثديي ، فتجلى لي كل شيء وعرفت . . . " وذكر الحديث قوله : (
وليكون من الموقنين) قيل : " الواو " زائدة ، تقديره : وكذلك نرى إبراهيم ملكوت
السماوات والأرض ليكون من الموقنين ، كقوله : ([وكذلك] نفصل الآيات ولتستبين
سبيل المجرمين) [الأنعام : 55] . وقيل : بل هي على بابها ، أي نرى ذلك ليكون عالما

وموقنا .